القدوة كمنطلق لتربية الأجيال المؤمنة (٣٣)

لكي تتضح لنا الرؤية الحقيقية لدور التربية الإسلامية في بناء الرعيل الأول من المسلمين ، فإن ذلك يبرز من خلال أهدافها الشاملة ، المتكاملة ، المتوازنة في بناء شخصية الفرد السوي القادر على تحمل تبعات أمانة السماء القادر على إقامة المجتمع الرباني. وقد تجسدت تلك الأهداف العميقة والمرامي البعيدة في شخصية الرسول ﷺ، كقدوة مثلى ، وكمتلقي لشرع الله لتطبيقه في واقع الحياة اليومية.

فما أثر وجوده ﷺ كقدوة عملية بين الناس؟

وما أهمية القدوة كأسلوب تربوي وكمبدأ أساسي

---

(٣٣) الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية – ليلى عبدالرشيد عطّار – ط١ – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

في توجيه الناس في واقع الحياة؟ وما مدى استفادتنا من شخصية رسول الله ﷺ كشخصية تربوية مؤثرة في تربية أجيالنا الحاضرة؟

لقد كان لوجوده ﷺ بين أفراد المجتمع الأثر الحي في انطباع شخصياتهم بشخصه ﷺ وعلمه وسلوكه وخلقه ، فكان بذلك نموذجاً تربوياً كاملاً للإنسان ، وكانت شخصيته هي فعلاً «قوة تربوية ومنهجاً تربوياً متكاملاً للشخصية الإنسانية الواقعية المثالية المتكاملة. فأشعت هذه القوة التربوية على صحابة رسول الله ﷺ فعايشتها الصحابة وحاولوا جهدهم أن يكونوا مثله في سلوكهم وأخلاقهم فبنى المجتمع الإسلامي لأول مرة في التاريخ على مبادئ ومفاهيم وقيم وسلوك رفيع عالي الشأن والمنزلة ، اختفت معها المظالم والمفاسد والمشكلات الاجتماعية المختلفة ».

إن محمداً بن عبدالله ﷺ كان الترجمة الفعلية لتعاليم السماء.. والمنفذ الأول لآداب الإله.. بما آتاه الله من الكمالات الإنسانية في كل شيء ، في ملبسه ومسكنه ، في مطعمه ومشربه ، في خلقه وسلوكه ، في روحه وتقاه.. في كل نواحي الحياة وأمورها.

وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم – يتأسون به في عبادته وزهده وفي إقدامه وثباته ، وفي رجولته ولطفه ، وفي رحمته وعطفه ، وفي جهاده وبيانه ، وفي حكمته وعلمه ، في صمته وكلامه، في كل ما يتعلق بمعاملاتهم التشريعية والسياسية والاجتماعية، وقد استطاعوا من خلال اقتدائهم برسول الهدى ﷺ أن يكونوا موجهين في سلوكهم بالقرآن الكريم، يشعون نوراً وصفاء بما يشعه عليهم،وليكونوا مشاعلاً تنير الطريق لمن بعدهم.

فلقد كان رسول الله ﷺ « قدوة للناس في واقع الأرض يرونه – وهو بشر- منهم – تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات كلها ، فيصدقون هذه المبادئ الحية لأنهم يرونها رأي العين (ولا يقرؤونها إلا في كتاب واحد هو القرآن الكريم ولا يرونها في بشر- غيره) فتتحرك لها نفوسهم وتهفو لها مشاعرهم ويحاولون أن يقبسوا قبسات من الرسول ﷺ كل بقدر ما يطيق أن يقبس وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصعود. لا ييأسون ولا ينصرفون.. ولا يدعونه حلماً مترفاً لذيذاً يطوف بالإفهام.. لأنهم يرونه واقعاً يتحرك في واقع الأرض.. ويرونه سلوكاً عملياً لا أماني في الخيال» لذلك كان رسول الله ﷺ مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي- قبل أن يكون معلماً بالوعظ والكلام المجرد من التطبيق.

ومن هنا نرى أن الإسلام قد ابتدأ في تربية المجتمع

الإسلامي بالقدوة والقرآن وعلى ذلك فلا بد « للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع. ولا بد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال ، ولا بد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم ، تتحقق في شخصيته المبادئ وينسج على منواله المحكومون.. والقدوة للجميع هي شخصية الرسول ﷺ التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه. ومن ثم يقيم الإسلام منهجه التربوي على أساس أنه هو الذي يسير دفة المجتمع ودفة الحياة ». ومن هذا نخلص إلى أهمية القدوة كمضمون تربوي إسلامي عميق الأثر في تربية وتوجيه الأجيال الحاضرة إلى التمسك بأخلاقيات الإسلام وآدابه..

وتطبيق مفاهيمه وأفكاره.. من خلال الأهداف التعليمية والتربوية ، والمنهج والمعلم والوسيلة ثم الطريقة.. ومن خلال جميع الأجهزة الإعلامية المختلفة.. سنرى الآن كيف ربىّ رسول الهدى ﷺ الأوائل أو بالأصح الإنسان المستخلف الذي تدور حوله الحياة كلها بل الكون كله ،من خلال الأهداف الكبرى للتربية في الإسلام.. فاستطاع أن يرتفع بالإنسان إلى مدارج الرقي الروحي والخلقي والجسمي والعقلي ، الذي يؤهله لحمل رسالة الإله بأمانة وإخلاص.. فكيف ينظر الإسلام إلى تربية المسلم من خلال أهدافه الكبرى؟.

□□□